

عودة النبيض

أتساءل:

كيف عادت نبضة الحب

إلى القلب الحزين؟!

كان قد كفنه الصمت سنيًا،

وسنين

وتناسى الموصل، والمهجر،

وأيام الحنين!

* *

كان مدفوعًا بشيء لا يقاوم

حينما شدته عينان وثغر وجبين

وأحاديث كثيره

عن هموم اليوم،

والأمس الذي ولى،

وأحلام الغد المضروب بالورد،

وأشواق اللقاء

* *

كانت الدنيا نسيما،

وعطورا، ومرايا

وطريقًا تصعد الأشجار فيه للسماء

ومشينا

وتعبنا

وجلسنا

ساعة تعلق على أجمل ساعات الزمان

* *

غير أن الأفق دار

فاقتربنا

طائرين افترقا

عاشقين احترقا

وطوى الحب الذي كان

عطاش في الصحاري،

وانسحاق في البحار

**

رجع القلب إلى مكنه ..
ومشى المصمت بأركان المكان
وتلاشت ضحكة القلب من الصدر
وما عادت دموع العين تهمل ..
مثلما المنهر الذي جف ،
وما عادت به قطرة ماء
صارت الدنيا خواء

**

غير أنى أتساءل:
ما الذي أرجع هذا النبض
في القلب المحزين ؟
أنت ..

أم الروح الذي أطلق فيه المياسمين

عندما قلت : أحبك

عندما قلت : أحبك

لم تقولى أى شـيء
كان صمتا رائعا
وسكوتا لنا يدانيه كلام

**

عندما قلت : أحبك
كانت الدنيا شتاء
وتدفأنا بتلك النظرات
حملتنا لبحور وصحاري
رفعتنا لنجوم وكواكب
أبعدتنا عن محيط الكون ،
صرنا ذرتين
نتلاقى .. نتماوج
فى فضاء لانهائى ، فسيح

**

عندما قلت : أحبك
لم تقولى أى شيء
إنما عينك قالت..
وعلى كفك حطت راحتى
حينها أدركت أن البدر مقسوم لنا
وشعاع الشمس لم يوجد
لمخلوق سوانا
ونسيم البحر ،

والأطيار ،
وموسيقى الحياه
صدحت من أجلنا

**

عندما قلت : أحبك
كان سر في الحنايا
ينشد الإفصاح عما يحتويه
مثلما المبركان في أعلى الجبل
حينما يملأ بالناز حشاه
ثم يلقي بشظاياها بعيداً..
قلتها في لحظة
لا أعرف : كيف ؟
ولكني استرحت
حين شع النور من طرف شفاهك
واختلاجات جفونك

**

حينما قلت : أحبك
كانت اللحظة أعلى
من سنين العمر كله
كان شيئاً كانبثاق الروح
في هذا الجسد
وازدهى الأفق بألوان قزح
واختفى الحزن من القلب
الذي عانى طويلاً..
كان شيئاً مستحيلاً

أجمل لحظات الحب

هي تلك النظرة من أعماق العينين

إذا ما صعدت من شريان القلب المولود

هي تلك اللمسة

حين تكون بلا هدف مقصود

هي تلك الساعات من الصمت الممتد

بلا شط و حدود

هي تلك الأغنية الصادحة

على نغمات العود

هي تلك الأشواق المظمأى من غير وعود°

هي حين يكون لقاء يعطى، ويجود°

او حين يكون وداع من غير شهود°

أجمل لحظات الحب سويعات

لنا تحسب من ساعات الزمن المعهود°

يصنعها العشاق لأنفسهم

فوق سهول البحر

وتحت سحاب شفاف°

لنا يخفق فيه طير

أو تعبره طائرة

بل نسيمات وادعة ، وعرائس أطياف

— كيف يحس العشاق ؟

— مشاعرنا يعرفها أحد لم يعشق من قبل

ولما تقدر أن ترصدها الأوصاف

أجمل لحظات الحب

تشابه بعض فراشات

تتطاير حول فتيل المصباح

وتظل تدور..

إلى أن يجذبها النور

فتدخل فيه صادحة بالأفراح°

أما نحن..

فنحسب أن المسكينة ذهبت للموت،

وضحّت بجناحيها دون ذواجٍ!

لكن المجذبة للنور

هي المقدور

استحسنها فتخيرها

كي تصبح زيتا للمصباح!

الابتناسامة

الابتناسامة

إنها أجمل خلق الله
في وجه مضء
حين يفتر عن الرقة والإحسان
من قلب برء
وهي المنافة الكبرى على الروح
التي تفتح أفاق اللقاء
* *

الابتناسامة

أروع الأصوات من غير كلام
خير ما تعطيه أم .. لبنيتها
نفحة الحب التي تناسب
من وجه حبيب لحبيب
* *

الابتناسامة

لحظة تعلق على كل الزمان
وانفراج النور من قلب الظلام
وغدير يملأ الصدر انشراحا ،
وحنانا ، وسلام
* *

المابتسامه

وردة تنشر في الجو شذاها
وغدير يتهادى وسط صحراء الكآبه
وسنا برق لطيف
يجعل الأفق مضيئاً
تصدح الأفراج فيه ، والعرائس

**

المابتسامه

قد تكون المخنجر المسموم
في سحنة خائن
قد تكون الحبل يلتف على الصدر
ويغتال البراءة
قد تكون الفخ منصوباً
لمخدوع يتهاوى في خطاه

**

المابتسامه

احذروها عندما يطلقها
وجه غضوب
وارفضوها
من فم ، مر المصدقات ، كذوب
واهربوا منها إذا ما ارتسمت
في ثغر حسناء لعوب

مملكة الليل

إن كان سائر النهار لك
فالمليل لي..
أغوص في أعماقه
وأرتوي من صمته
وأمتلك
أشعة البدر
التي ترش ضوءها
على ستائر الضلك
* *

المليل لي..
حين ينام المكون كله
ولما يكون ساهرا سوى
أى حديث رائع
أبدأه مع المصدى
أقيمه مع المسكون
أذكر فيه الموت والحياه
وهذه المشفاه
حين تكون تارة كالشهد خالصا ،
وتارة تكون منبع السموم ؟!
وكيف يهبط الأسى
على المذين افترقوا ،
وتثقل المهموم ؟!
المليل لي..
في وحدتى المقدسه
حين تكون شدة الظلام مؤنسه
من بعد ما عانيت طول الميوم
في ملتقى المنسور والغربان
وقسمة المصوص والمقراصنه
وهوس القمار والمرهته

أحاول النسيانُ
وأشجب المكان والمزمانُ
وهذه الأجساد عندما تمارس العناقُ
وتحت جلدها ينسل عقرب المنفاق!

* *

إن كان سائر النهار لكُ
فالميل لي..
مملكتي
محيط سلطتي التي
أقيم فيها ما أريد من قصورٍ
أدير فيها ما أشاء من أمورٍ
كأئنني أمير
وكل أشباح الظلام تحت سطوتي
تطيعني .. ترهبني!
حتى إذا أتى الصباح
عدت من جديد
أسوق زورقي القديم
نحو شاطئ بعيد..

نيرضاننا

أعود إليك
بعد تغربي في الليل
والأشباح تتبعني بكل مكان

أعود إليك
بعد تقاذف الأمواج
والرياح التي تعوى ،
ورغم تشابه المشطآن

أعود إليك
بعد تسلقى قمم المحال ،
ورغبتى فى الفوز بالمجهول
والدنيا بغير أمان

أعود إليك منكسرا
وقد كفنت آمالي بأوراق المخريف
ولم يعد في القلب متسع
لذكرى أو لنسيان

وها .. مررت سنين العمر مسرعة
ولم تترك سوى أثر طفيف
لم تعد تبدو ملامحه على الجدران

وحين يلوح وجهه من رؤى الماضى
يحاول أن يذكرنى
أقاومه..
وأمضى صافى الوجدان

تشبهنى ؟
أنا فى البحر أشبه موجة
تعلو وتهبط دونما فوران

أنا في الليل مثل فراشة
تهفو لمصباح بلا لمعان

أنا في البعيد موال لراع
بددته الريح في أفق بلا آذان

وها أنا قد أتيت إليك مفتقرا أدق المباب
وملاء حقائبى قصص وأعدار

وألّف كتاب
لنقرأها معا..
من غير أن ندعو لها أحدا

من الأصحاب!

كل شء يتغير

كل شء يتغير
موجة البحر التي كانت تلاقيني

بشوق واصطخاب
لوعة الحب التي كنت أهانيتها ،
و آمال الشباب!
ووجوه الصبح..
لم يبق من الصبح

سوى بعض شجونٍ وسراب
والليالي نفسها صارت كئيباتٍ
ودفع المحلم ذاب

كل شء يتغير
الأناشيد التي كانت تشد العزم ،
في القلب الفتى
أصبحت رجع أنين متهاك
يتلوى وقعها في أذني!
والأغاني حين كانت تملأ الآفاق ،
تروى عطش العشاق بالمصوت الندى
لم تعد إلما بقايا زفراتٍ ..

من حُداء بدوى!

كل شءٍ يتغيرُ
نكهةُ الخبزِ، وطعمُ المشايِ،
أثناءُ المظفورِ
وعناوينُ الجريدهِ
أصبحت محضُ خرافاتٍ من الماضيِ،
وما عادت جديدهِ
صدتُ كل الأوانيِ،
وسعى النملُ بأركانِ المكانِ
وعلى المرآةِ بعضُ المذكراتِ
كلها كانت حياةً
ثم ماتت ..

مثلما الاحساس مات!

كل شءٍ يتغيرُ
هذه الألوان كانت ناصعاتُ
وحدود المورِد كانت ناضراتُ
وصفير البلبِل الغريد مناسباً

على كل الجهاتُ
صارت الألوان أبهتُ
وحدود المورِد جف الماء منها،
ومشى فيها الذبولُ
هجر البلبِل عشه
واختفى قبل المساءُ
وأتى من جانبِ التل صراخُ،
ونباحُ، وبثغاءُ!

كل شءٍ يتغيرُ

حدة الإبصار فى عيني ،
 وأسماء المشخوص
 قوة الإصدار فى صدرى ،
 وميلى للصرع
 صبوتى ، نوع طعامى ،
 وخطاى المسرعه
 صرت لنا أعرف لما أن أقاتل ..
 رغبتى حين تحاول!
 وأنا فى الأرض مشدودٌ بآلاف المسلسل

كل شء يتغير
 موعده المنهر الذى كان وضيا
 والمفصول الأربعة
 لم تعد عادلة فى قس مها ..
 أصبح الصيف طويلاً ، وثقيلاً
 وخلص المحقل من المظل المندى بالنسائم
 بعدما غطت محياه الأخابد العميقه
 وسمعنا أن ثلج القطب ذاب

سحقته الشمس .. فيما بين بعد واقتراب

كل شء يتغير
 وأنا أجتز أيامى التى راحت هباء
 عثرات ، وانتظارا ، واندفاعا ، واحتماء ..
 كيف لم أدرك دروب الغاب من حولى ،
 وأخلاق الضباع ؟
 كيف لم أعرف بأن المصاحب الموثوق .. باع ؟
 كيف لم أشعر بأن العمر يجرى مثلما النهر ،
 وما فيه ارتجاع ؟

هذه اللحظة كانت فاصله
رحبت بالأرض أبواب السماء
حذرتنى قائله:
إن في الليل شياطين كثيرة
وكذا طول النهار!
فتحت عيني على وجه حقيقي،
ووجه مستعار!
مىزيت فى شاطئ البحر أمامى..
كل أنواع المحار
لم يعد يهتز عقلى..
بين شك وضياع
صار ضوء الحق أنصع
واختفى الباطل فى تلك البقاع ..

... ..

هكذا أصبحت انسانا جديدا،
وفريدا..
غير أن العمر ضاع

!

الوجهــــــــــــــــوه

وجه ضاحكٌ

وجه عابسٌ

وجه محزون أبدا

وجه ماكرٌ

وجه عذبٌ .. وجه مالحٌ

وجه من غير ملامحٌ

وجه يتحول في أشكال أخرى..

وجه يُسفر عما يحمله من إحساسٌ

وجه يتخفى حتى لا يدركه الناسٌ

وجه كالذهب الخالص°

وجه مطلق بنحاس°

وجه لا تنساه طوال العمر°

وجه حين تفارقه يسقط من ذاكرتك°

وجه يجعلك تبوح إليه بأسرارك°

وجه تخشى أن تخبره عما يحدث في دارك°

وجه تتمنى ألما تلاقاه°

وجه تدعو الله .. لكي تلاقاه°

وجه يسرى في الحلم فتسعدك رؤاه°

وجه تلقيه الريح عليك ،

فتقتضى طول الميوم حزيننا من مرآه°

[]

الأوجه في كل مكانُ

تسبح في الجو ،

وتمرق في الماء ،

وتدلف من كل الأبوابُ

تتحداًنا ، تحصرنا ، وتراوغنا ..

حتى لاندري أيّ الوجهين : الصادق والكذاب ؟

من منا يقدر أن يستكشف ما فيها [] ،

من أغوار مظلمة ، وضبابُ

بعض ملامحها حُفَر ، وفخاخ ، وسرابُ

أطيافَ ملائكة تبدو أحياناً ،

وتكشر في أحيان أخرى ، مثل شياطين ،

تتلوى في السقف ، وفوق الجدران !

[]

الأوجه أقنعة مختلفات الألوان

صفراء ، وحمراء ، وزرقاء ..

يلبسها كل منا طول اليوم

يستبدلها عشرات المرات

ينزعها عند النوم

لكن الأجرأ من يصحو في قلب الليل ،

وينظر في المرآة

منزوع الأقنعة كما صورته الله !

من منا يقدر أن يتأمل في وجهه

يصفحه إن كان مدانا ،

ويعاتبه ان هم بشرٍ ،

ويصارحه وجها وجها ..

مَن منا يقدر أن يتخلص من أقنعتِه !

الصدر

صدر مفتوح كالبحر°

صدر كالمقبو المغلق°

لنا توجد فيه فتحات مثل المقبر°

صدر تسمع منه الآهات°

صدر تتلوى فيه الحيات°

صدر يزخر بالعطف على المسكين°

صدر تُشحن فيه المسكين°

صدر لنا يدع صديقا يقرب من أسواره°

صدر يدعو الناس جميعا ..

لزيارة داره°

* □ *

المصدر جدار ملتف ،

يبنيه الانسان دفاعا عن قلبه

ويظل يُحصّنه ..

حتى لا يتمكن أحد من أن يطّلع عليه

وهالك من يجعل فيه مزافل ..

ليراقب منها المتلصص ، والمهجام ، وملتقطى الأخبار

المصدر جدار

قد تُقذف منه الأحجار ،

وقد تتمدد فوق حوافيه الأزهـار

* □ *

ماذا خلف جدار المصدر ،

سوى أرض جرداء ، وبعض المصبار

ومساكن هُجرت من زمن ،

عشّس فيها اليومُ،

وعاشت تحت سلالمها المثرانُ

آثار هزائم غطّاه الرمل ،

وما زالت صامدة ضد رياح النسيان!

* □ *

قالت - وانحدرت من عينيها

دمعاتُ ساخنة فوق الخدين :

لنا يوجد صدر خال من أظفار الغدرُ

وسواء كان امرأة أو رجلا ..

فالغدر هو الغدر!

لكن الأقسى أن يغدر من نمنحه

مفتاح القلب ليسكن فيه ،

فيمزقه بالمخنجر!

[]

وسرى من أعماق المسجن أنينٌ مكتومٌ

أقسم : لا يوجد في الصدر سوى أشواك الحقد ،

ونيران الحسد المشئوم

كان صديقي أقرب لى منى ..

وأمام القاضى ، بث شهادته سمّ فى أوردتى

ألقانى خلف القضبان ،

وأحرق بالشروة والزوجة والأولاد!

[]

وهذا لك حول ضريح المقطب°

صاح المدر ويش المهائم:

لا يوجد صدر خالٍ،

من حب الله ومن أنفاس المقرب°

وقبيل الموت بخطوات°

قد يشرق صدر العاصي بالتوبه°

ويفيض الإيمان على القلب°

[]

لكن المصدر الأذفاً في العالم..

هو صدر الأم°

يسقينا لبن طفولتنا،

ويهددنا،

وننام عليه ونحلّم

فإذا ما بعدت عنه زوارقنا،

ورمتنا الدنيا في مدن أخرى

حيث المبردُ المقارس، والمناسُ..

جنّاهُ، فوجدناه مفتوح الأذرع،

يتلقّانا بمزيد من وهَج الإحساس!

المحب في الميدان

كان المطوفان

يتدافع في قلب الميدان

وشعارات الحربية تصدح في كل الأركان

وعيون الثوار.. كما فتحات البركان

كان الصوت الخارج من أعماق الشبان

يندفع فيكسر كل متاريس القهر،

ويبعث جثث الموتى من تحت الأكفان

* □ *

وعلى خطوات منى ..

كانت تحمل علما خفاق الألوان

كانت تهتف، لكن الصوت الصادر عنها

كان كصوت البلبل حين يغرد بين الأغصان

وبعينيها كان بريق الحسن

يفوق الغضب الهادر منها،

وعلى خديها امتزجت حبات المعرق بأوراق المورد ،

وثار الشعر ، فنضرت منه خصلات في لون الليل ،

على صبح زاهٍ ، فتانٌ !:

تبعتها صرخاتُ هتافى ..

المتفتتُ ، نظرتُ ،

علمتُ أنى افديها بالروح .. كما الأوطانُ !:

تركنتى أقتسم العلمَ المرفوع بيدها ،

وأشاطرها الغضبُبة والغليانُ

وهناك بجوف القصر اختار الماكر أن يكذب ويناور !:

حتى اهتزت حول قوائمه الجدرانُ

وشهدنا أروع لحظات العمر : سقوطَ المطغيانِ !

طرنا من عمق المزرحة ، هذأنا أنفسنا بالأحضانِ ..

كانت كالعصفور المواع في صدرى ،

تسكن حيناً ،

وتزقزق حيناً في اطمئنانِ

لكن ما لبثت أن فاقت من غفوتها ..

رجعتُ للخلف قليلاً ،

ثم ابتعدت في قلب الميدانِ

تابعتُ خطاها .. لم تتوقف ..

ذابت كالمقطرة في الطوفانِ

كنت سعيداً وحزيناً ،

أضحك ، أبكى ..

وعلى كتفى ربتت آلاف الأيدي ،

قالوا : جذبتَه المُرحةُ ،

رشوا الماء على وجهي ،

وأعادوني للبيت ،

جلستُ بلا قلب:

يتنازهنى الشوق اليها ،

وأفكر فيما ينتظر الأوطان!

أحبك يا مصر ..

أحبك يا مصر رغم السكوت

أحبك .. حتى أموت

أحب صباحك حين يرش الحقول ،

وليلك حين يضم البيوت

أحبك حين تزغرد فلاحتك

وحين تدارين دمعك في لحظة الحزن

عن شامت يبفضكذ

أحبك يا مصر حبا

تمكن في القلب مثل ثبات الهرم

ومثل المآذن صاعدة للسماء

تسوق الدعاء ، وتيدى الندم

ومثل الكنائس ،

حين تفضض أجراسها بالألم

أحبك يا مصر في النيل ،

حين يهل علينا

فيروى العطاش ، ويغذو الجياع

وحين يريح المرعاة ظهورهمو في حماه

يطيب الغناء ، ويحلو السماع !

أحبك يامصر

بعد حلول المآسى ،

وأنت تقومين كى تستعيدى قواك

وتنطلقى من جديد

مئات العواصف هبت عليك ،

وما زلت صامدة كالحديد

وفيك من الله ما يدفع الشر عنك ،

ولو لم تزوديه أو تتقيه

مباركة هذه الأرض ،

موسى ، وأتباع عيسى ،

ورايات أحمد .. مررت بها

وامتزجت بذراتها

وبثت الروح في نخلها

وجذور أشجارها

فصارت مضمخة بالمعطور

وكل المزوايا بخور

أحبك يا مصر

ليس أمامك حب

ولما حب قبلك

أنت المتى فى هواها أدور

وكل الجمال الذى ذبت فيه وغنيت له

ما كان إلما انعكاس جمالك فوق البدور

رماد الأحبة هذا الذى ذام فى أرضك الطيبه

وسيرتهم تملأ الدار والمصطبه

وحين تطل علينا زياراتهم

تهدهد أحلامنا المتعبه

لعبنا صغاراً بحاراتها

وجبنا كباراً ميادينها

وحين اصطدمنا بصخراتها

مددنا لها الكف كى نتقيها

أشارت علينا بتفتيتها!

لك الله يا مصر

بين المضباع ،

وتحت المصراع ،

وقيد الحسد

يتابعك النمر المفترس

ويشغلك الثعلب الماكر

وأنت تقومين وحدك في الريح

راضعة وجهك المستضيء

بنور الشموس وضوء القمر

أحبك يا مصر رغم السكوت

أحبك .. جتى أموت

يسأل الناس ..

يسأل الناس : ما الذى سوف يجرى ؟

ويعيدون فى السؤال كثيرا

ليس يجرى سوى الذى كان يجرى

فابدأوا النوم ، واستعيدوا المشخيرا

* □ *

كان حلما ، ووردة ، وصباحا

ثم راحت جميعُها ، وتلاشتْ

هبط الليل من جديد ، وأمسى

زامر الحى فى المكآبة صامتْ !

* □ *

هذه الأرض جفّفتها المأسى

والمغزاةُ الذين داروا عليها

حينما أسلمت نفسها لبيها

أنكروها ، وتكَبَّوا قدميها !

**

كيف يرقى سدالم المجد عبد

عاش في المقيد ألف عامٍ وعامٍ ؟!

انه مرهق القوى ، يتهاوى

وبأضداعه مئات السهام

ملأ الغيم ساحة الأفق ، حتى

لم يعد يظهر الطريق المؤدِّي ..

وتلاقى الضباغُ بعد اصطرَاع

قسَّ مَوا الصيد بينهم دون حقدٍ !



مصرُ المتى ..

مصر المتى نثرت صفائرها ،

وثارت في ميادين الكرامة والصمود

عادت من الإعياء مرهقة ،

فأسلمت الخطى ،

وتمددت في ظل منعطف صغير

وتجمع المتكالبون ليقطعوا من ثوبها علماً ،

ويفتعلوا تواريخاً لهم معها ،

ولما يترددون

أن يشربوا نخب انتصار المثائرين!

لكنها راحت تحدق في الوجوه ،

فلا ترى من كان في الميدان مشروح الجبين

أو مطفأ العينين من سيل الرصاص المنهمر

من هؤلاء إذن؟ وأين الآخرون؟

أين الذين تجمعوا من حولها ،

زمن المهانة والأسى ،

حتى أزالتم سطوة المتجبرين؟

أين الذين استبسلوا قتلاً ،

وفازوا بالشهادة في سماء الخالدين؟

أين المدين ..

ملأوا الميادين المسيحة ،

واستطاع هتافهم أن يسقط المتكبرين ؟

* □ *

نظرت الى عمق الوجوه ،

فلم يكن فيها شريف أو أمين !

نظرت الى أكتافهم ..

كانت كأكتاف الذين استنزفوا بالأمس

خيرات الوطن

نظرت الى قمصانهم ..

كانت هي القمصان ناصعةً المياض ،

وتحتها اسودّت قلوب من عنفٍ!

نظرتُ طويلاً ..

ثم غابت في مصيبتها التي امتدت

لآلاف المسنين

ما عاد يطفئها البكاءُ أو الأنينُ

وتوجهت نحو الجدار ، لكي تدارى دمة ،

سقطت أمام المشامتين!

ملحمة الفلاح المصري

في أعمق أعماق الغابات

وقبل مجيء التاريخ بأداف السنوات

كان يسير بلا هدف

إلما من شربة ماء

أو حبة فاكهة

أو بعض الحشرات

وأخيرا وجد النيل

يسير مهيبا في خطوات متئدات

تتقاذف فية عشرات الأسماك المفضيات

وعلي جنبه نخيل يعلو ،

ويطاول هامات المسحب المبيضاء

ألقي بالجسد المنهوك

علي طين الأرض السمراء

وصارت جنته العذراء !

في اليوم التالي حمل الفأس الفولاذية

وهوي نحو الأرض يقبلها، ويقلبها..

فتبادلته أطيب ما فيها من خيرات

أطنان القمح، وأجولة الفول،

وأصناف الخضراوات

وبداخل منزله

راح يربي بعض البقرات

بقرات كانت تمنحه اللبن المصافي ،

والجلباب الدافئ ، والدهنيات ..

كان الفلاح المصري بسيطاً

يزرع، يحصد، ويزوج

في خاتمة الموسم أولاده

ويبارك في أروقة المعبد أحفاده

محتلما أغلي ما يملك للكهنة من قريبان

ملتزما بالسجدة للفرعون

إذا ما مر بموكبه العائم

بين المشطآن!

ظل الفلاح المصري صموتا

لا يتكلم حتي حين تؤرقه الكلمات

وخلوقا يسعي في دعم الضعفاء

ويجلس بجوار النيل يصلي ..

في زمن القحط ،

وحين يفيض الفيضان

وإذا أوقف في محكمة الموتى

أقسم أن يديه ما لوثتا النيل ،

ولما ألقى فيه أعواد المشوفان !

كان الفلاح المصري خبيراً

بخبايا الأرض السمراء

يعرف كيف تجود ؟

ومتى تلفحها الشمس الغضبي ،

فتشقها ؟

وبأي مدار يفرشها البدر إذا اكتمل

بضوء مملوء بالأزهار

لكن الملاح المصري تفاجأ يوماً

من أيام المصيف المحارقة .. بجيش جرار

هاجم من ناحية المشرق

وشتت حامية الجند .. بلا إنذار

وتوصل للفرعون الأعلي ،

أسقطه من أقوي برج فوق الأسوار

سقط الفرعون جذاذات ،

وأساور فضيات ، ونضار !

وتبددت المعتقدات المحفورة

في أعمدة المعبد ، والأحجار ..

لكن الكهنة نفضوا في المبخرة الكبرى ،

واعتبرو الغازي ملكا ، وألها ، وسليل الأقدار !

رجع الضاح المصري إلي منزله الطينيّ ،

وراح يحدق في أطفال من غير عشاء

ورأي نظرة زوجته ترمقه باستجداء

لم يعرف طعم النوم ، طول الليل ،

وحين تبدي الفجر ،

مشي نحو الأرض السمراء

يقاسمها الشكوي والاعياء

ويوفر ما تنتجه للغرباء

حتي المسنبله الصفراء!

فإذا جن الليل

سرى فوق المشط

وأخرج من أعماق الروح

مواويل الصبر الصمّاء!

صفحة من الريف المصري

كانت الأرض غارقة في الضباب ،

وفي آخر الحقل : بعض البهائم تجتر ،

والأفق ممتلئ بالغيوم ،

التي أطفأت الشمس ،

وبعض الصبايا يتابعن محرقة القش ،

وبين الغصون غرابٌ عجوزٌ

* □ *

غرابٌ يتابع زحف الهوام ،

وخفق العصافير في الجو ،

ذوع الطعام المعلّق في شجر السنّطِ ،

وكان الهواء ثقيلًا ، ثقيلًا .

كما يرقد المصيفُ في مقبره

* * *

كانت الأرض عطشى لقطرة ماء

وما كان في النيل إلّا القليل ،

وما كانت السحُب .. إلّا خواء!

* * *

وعند الظهيرة ،

فكّ الجيأع المناديل ،

راحوا يلوكون خبزاً وجيناً ،

ويزدردون الطعام بقُلَّة ماء

وبعض الأحاديث عن مرض الموت ،

ومن يتزوج في موسم القطن ؟

كم عدد المتلاميذ حين يجيء الشتاء ؟

* □ *

عاد نصل المحاريث يخرق الأرض ،

يضرب أحشاءها بالحديد

وتحت الحوافر والمقدم الحافيه

تعوّدت الأرض أن تستجيب □ □ .

لحمٌ جديد !

[]

وعند حلول المساء المكتئب ،

تعالى نقيق المضافع في المترع المضيقة

وجاء من المبعد نوح المذئاب ،

فهاج كلاب القرى والمنجوع

لقد حان وقت الرجوع

بيوت من المطين تؤوي الجميع

وفيها تعد النساء طعام العشاء

وتتحف أزواجهن ببعض المحكايات ،

عما جرى في النهار البائد!

[]

مع الصبح يبدأ يوم جديد

جديد قديم،

قديم جديد ..

أرجوزة الصمت

الصمت زينة الحكيم
ومكمن الجبان والمثني

الصمت كالظلام لا يبين
لكنه مكفّن بالحزن والأنين

الصمت قطعة من الكلام

تآكلت حروفها من شدة السهام

المصمت ساخر أليـم
وقادر أن يغضب الحليم!؛

المصمت غادر يحيي الظنون
وقاطع كأنه سكين

المصمت قد يكون راضيا
وقد يكون غاضبا
وقد يكون مستفزا
من يا ترى يفهمه ،
من يا ترى يحاوره
ليخرج المكريم من عروقه
ويمسح التراب عن بريقه
ويكشف المستور ؟؛
المصمت ليس مثلما يظن .. ضعفا
المصمت بركان ينام تارة ،
وفجأة يثور عصفا

المصمت ليس جهلا
المصمت حكمة ومعرفة
المصمت ميراث طويل
خلفه الأجداد للأبء ،
والأبء للأبء ..
دونما انقطاع
وكلما مضى عليه الدهر .. شاع

المصمت للفتاة مكرمه
وشارة من الحياء ملهمه
لكنه للمرأة المنضوج غير مستحب
لأنها تضيع كلما تكلمت
وعبرت عما بصدرها من العبير

المصمت والكلام
طريقتان في الحياه
وكفتا ميزان
إذا أردت أن تعيشها
كما الديدان
فاختر طريق المصمت ،
واحترس من المبيان
وإن أردت أن تموت مرتين
فاصدع بصوتك الذي يؤرقك
كأنه تعبان!

دفاع عن النيل

بمناسبة تعنت اثيوبيا في رفع سد النهضة

الذي سيحرم مصر من حصتها المائية

ويضر بمصالحها الحيوية ..

المنيل ليس لك
والمنيل ليس لي
المنيل لي ولك
المنيل للحياة فوق ذلك المتراب
والمحياة تحته
وكل ما ينبت في السهول والمهضاب
أو يطير في جوانب الفضاء
* *

المنيل من خزائن السماء
أرسله الله
للذين يحرقون الأرض
وللذين يرفعون قبة المبناء
* *

المنيل ليس يعرف الحدود
ولما تصده قوائم السدود
المنيل كالرياح يعبر المباد
ويفرش المخضرة في مواطن السواد
المنيل منذ انبثق التاريخ
كان نبع الخير في ربوع مصر
ومصدر النماء في حقولها
وكان حيننا يغرق القرى
فيطعمونه عروسة جميله
لكي يعود وادعا
كما الغزال في خطاه ،
والفراش في جدائل الخميله
* *

المنيل واخر العطاء
فما الذي يجعله
حكرا عليك دون أن يكون للجميع ؟!
يسقى العطاش في المهجير
ويطعم الجوعى من الشعير
وينشر الظلال والعبير
ولما يرد سائلا
كما يضم مستجير
* *

المنيل كان دائما رباط حب
ولم يكن طوال عمره مثار حرب
فاعاملوه .. مثلما يعامل الإنسان

كي لا يضيع منكمو في الرمل ،
والوديان

الأرض عطشى لم تزل ..

الأرض عطشى لم تزل .. والعيون

تقتات رجع المصدى والمشجون

ورغم أن الشمس قد أشرقت

فإن وجه المصبح لا يستبين

* □ *

من أخدم المفرح بأشواقنا ؟

من سرق البسمة من وجهنا ؟

من نشر الأحزان في دربنا ؟

وصدر اليأس لآمالنا ؟

[]

هل تُتَبِّبُ الميؤس على المبتائسِينُ ؟

وسرمد المِجوع على المِجائعينُ ؟

هل صار هذا الشعب أيقونةً

يُسلمها المظالمُ لظالمينُ ؟

[]

لقد سئمنا المحكم من غاصب

يتمص أقتواتنا في المعلنُ

وحين جاء الذي لحمهُ

من لحمنا .. جوعنا في الوطن !

يا صرخة المحزون لنا تخرجي

فليس يوجد مَنْ يستجيبُ

ولتمكثى فى المصدر محبوسة

فان للبركان صمماً عجيباً!

لقد أهالوا المقبر فوق المفقيد

ووزعوا ثروته بينهم

وحينما استيقظ من موته

ما كان فى عينيه غير الندم!

* □ *

ياجامع الدنيا بأكفانه

رفقاً بهذا الجسد المنحنى

لسوف تمضى والمثرى موطن

وهجمةُ الديدان لنا تنثنى!

[]

ماذا سيبقى منك بعد الرحيل؟

سوي حديثٍ ذاقمٍ مختصرٍ

ولعنةٍ تبقى على صفحةٍ

يسردها التاريخ ضمن العبر!

المقتل غـدرا..

[إلي جنودنا الذين أستشهدوا

علي حدود رفح ..

في شهر رمضان 1433 هجريا]

كان العساكرُ صائمين

وانساب صوت المغرب الخفّاق

في الأفق الحزينُ

بدأ العساكر يُفطرونُ

وتبادلوا التمر المجفف والمياه ..

موحدينُ

كانوا جميعا من قري مصر ،

المتى امتزجت بحب المرسلين^٥

وبدون سابقةٍ ،

هوئى سيل المرصاص على صدورهمو ،

المتى كانت تكبيراً او تسبّحٍ ..

فى سكون المخاشعين^٥

من أين جاء المغادر المسفاج ،

فى هذا المكان ،

وكيف قرر أن يُغير^٥!

قَتَلَ الذين يرابطون على المحدود ،

ولم يكن فيهم نذير^٥

ومضى بكل غباوة نحو العدو ،

فزال مصرعه المثير^٥!

لم يستحق سوى الإدانة ،

لم يكن بطلاً ..

ولما كانت لديه شهامة المُرسانِ ،

أو بعضُ الضميرِ !

اعتاد بالمغدر الحياة ،

ولم يعيش إلا مع الظلمات ،

في كهفِ ضريرٍ

لعنته حباتُ الرمالِ ،

وقد تخللها الدم المسفوحُ ،

وانبعثت عليه الريح من كل الجهات ،

تضح بالعملِ الحقيرِ !

[]

يامصرُ.. نيلك يصطفقُ

ودموعك البيضاء تهدر في المضافُ

وعلى الصحارى الميايسات ،

يلوح فجر من بعيدُ

فجر يشق ستائر الليل المليلدُ

فلينهض الشهداء في قصر الغمام ،

يراقبون الشمس حين تطل من (سينا) ،

على يوم جديدُ..

في كل ذافذة شهيد!

هجرة غير شرعية

[بمناسبة غرق قارب

بأربعين شابا مصرياً

كانوا هاربين من البطالة

للعمل في أوروبا..

أغسطس 2012]

الأربعون
كانوا شبابا ياضعين

قدموا من الدلتا ،
 ومن عمق الصعيد ،
 ومن دروب العاصمه
 بسواعد سمراء لُوَّحها لَهيبُ الشمس ،
 وامتدأت بأشواك اليقين
 كانوا جميعا جائعين
 يتوقعون الخبز في أفران أوروبا
 وقد يتطلعون
 لصبية شقراء تختصر المصاعب والسنين
 كانوا شبابا حالمين
 يتلمسون الفجر يخرج من شقوق الليل ،
 والأزهار تنبت في عرى المصبار ،
 كانوا صامتين
 في صدر كل منهم أمل حزين
 وأثاره من ذكريات لم يفارقها الحنين
 وتجمعوا في ركن مقهى ،
 لم يكن فيه سوى ضوء هزيل
 قسماتهم تحكى عطاش الأرض ،
 في صيف الشراقي ،
 والعيون
 لم تكتحل بالنوم .. آلاف السنين
 وتحجرت فيها دموع الكادحين

وأتى المقاولُ ،
 أفرغوا في جيبه ما يملكون
 وكأثمهم .. ثمنا لحب الموت كانوا يدفعون
 وعلى رمال الشط .. ساروا مرهقين
 وتقاطروا متسللين

حسبوا الخلاص بأن يجوبوا البحر
 بعد البر .. غير مجه زين
 في قارب شاخبت قوادمه ،
 وضج به الأنين
 كان الظلام يلغاهم ،
 والموج يرفض ضربة المجداف

في غضب عنيد
 والملح يصعد للخياشم والجفون
 والبحر..

ليس المبحر تلك اللوحة المزرقاء
تملاً حائط الأفق الجميل
بل غضبةً المجهول ،
تعتصر الضحايا في ذهول

حتى المشراع تمزقت أحباله ،
وسرت من الأدواج .. رائحةُ المجدود

غرق الذين استسلموا ،
وطفا الذين تماسكوا ،
واحترار في تعدادهم .. حرسُ المحدود
في نشرة الأخبار ، قالوا :
إنهم بعض الشباب المضائعين
المخارجين على قوانين البلاد ،
وقد تملكهم جنون!
وتحدث الفقهاء عن سوء المصير ،
لكل منتحر ،
وقال البعض :
بل شهداء في حلل الحرير

الأرض والمطر

هنا .. كانت الأرض عطشى

وحين تلاقى السحاب

تهاوى المطر

غزيرا

كأن جفان السماء

استفاض بها الماء

ثم انهمر

تفتح في المسهل بعض النباتات

وطار فراش

وغنى شجر

وعادت لأشلائها الروح

هبت من الأرض صم الصخور

استفاق التراب

وذاب الحجر

وجاء الخريف

فجف المرحيق من الزهر

أسقط كل غصون الشجر

وطار بأوراقها في الهواء

وألقي بها في بطون الحفر

تشققت الأرض

ساد الجفاف

ولم يبق إلا صدى يحتضر ..

توقعت أن يحدث المستحيل

فيمضى الخريف

ويأتى الربيع

فتزهو الحياة

ويحلو السمر

ولكنه الليل حل

كما يرسخ الجبل المستقر

فأوى الغمام

وأخفى القمر

رجعت إلى المكهف

أنظر من فتحة فيه

ليس هناك سوى المريح تعوى

وبعض الطيور المتى لنا تغرد ..

أفـسق عميق الأسى والمحذر

وما زالت الأرض عطشى

تناشد قلب السماء الرحيمة

بعض المطر
